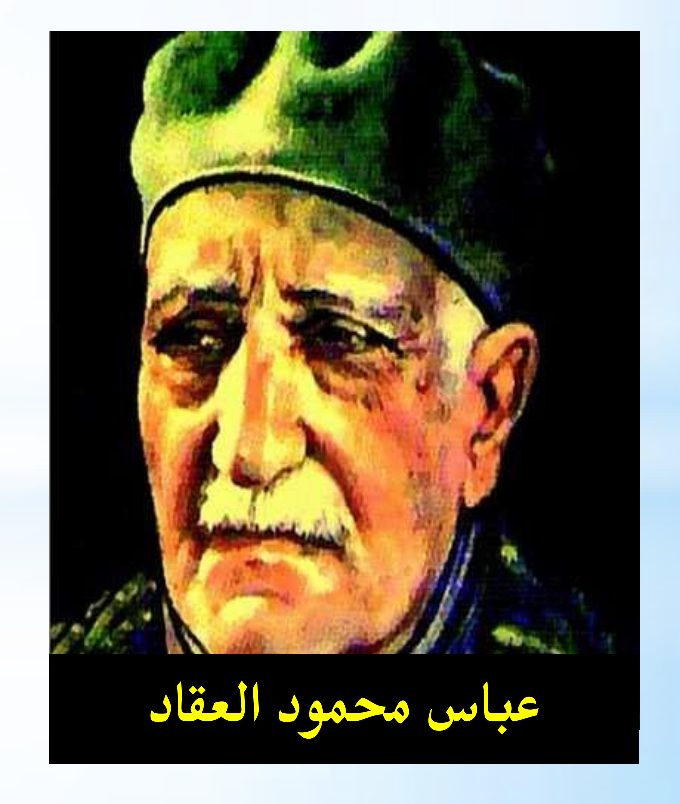
مقياس النقد الأدبي الحديث

المحاضرة الثانية

النقد عند جماعة الديوان

السنة الثانية - دراسات أدبية ونقدية -


عبد الرحمان شكري


عباس محمود العقاد


إبراهيم عبد القادر المازني



بدايات التجديد الأولى كانت علامات وإشارات يدعو إليها النقاد والكتاب في مقالات تنشر في الصحف والمجالات، ولم تتطور هذه البوادر إلى مدرسة أو تيار أو منهج نقدي له أفكاره وأسسه ومبادئه.

تلك الجهود دفعت عباس محمود العقاد (ت 1964م) وإبراهيم عبد القادر المازني (ت 1949م) و عبد الرحمان شكري (ت 1958م) إلى إنشاء جماعة الديوان كأول تجمع نقدي أدبي تجديدي، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى كتاب « الديوان في الأدب والنقد» والذي ألفه العقاد والمازني سنة 1921م.

كان التمرد على التقليد وتحطيم أعلامه هو أسمى هدف رسمته الجماعة ودعت إليه، وتأثرت الجماعة بالرومانسية كمدرسة تجديدية غربية دعت إلى الوجدانية والذاتية والخيال ومحاورة الطبيعة والصدق والتجديد في شكل القصيدة ومضمونها.

كانت الثقافة الإنجليزية هي المرجع الذي يجمع أعضاء الجماعة الثلاثة، ولقد لخص الأعضاء أهدافهم من تأسيس هذه الجماعة في مقدمة كتابهم فقالوا عن الكتاب : « هو كتاب يتم في عشرة أجزاء، موضوعه الأدب عامة، ووجهته الإبانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة، وقد سمع الناس كثيرا عن المذهب الجديد في بضع السنوات الأخيرة ورأوا بعض آثاره وتهيأت الأذهان الفتية المتهذبة لفهمه والتسليم بالعيوب التي تؤخذ على شعراء الجيل الماضي وكتابه ومن سبقهم من المقلدين... مذهبنا أقام حدا بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما ... مذهبنا إنساني مصري عربي...»

واقع النقد قبل جماعة الديوان

ساد تلك المرحلة تياران نقديان: تيار محافظ وهو الأوسع انتشارا والأكثر تأثيرا، وتيار مجدد كان مظهرا للتأثر بالثقافة الغربية، فالنقد التقليدي نقد مكرور لا جدة فيه كما رأينا ذلك عند حسين المرصفي، ونقد تجديدي دعت إليه طائفة من الأدباء والنقاد ومنهم : أحمد فارس الشدياق، ونجيب حداد، وسليمان البستاني، وخليل مطران، وأحمد أمين، وطه حسين.

وتعد جماعة الديوان أول اتجاه شد الناس إلى ذلك المذهب الجديد الذي أثار ضجة كان أهم دوافعها إجلال الناس لشوقي وللمنفلوطي، فبالديوان حطمت الكثير من القامات الشعرية والنثرية التي اعتبرتها الجماعة أصناما طالت عبادة الناس لهم.

التجربة النقدية عند جماعة الديوان

إن ما تركته الجماعة من أثار نقدية ليس مُجمعا ومُجملا في مؤلَّف أو مجلة مشتركة، بل هو مفرق ومشتت بين الكتب والمجلات والصحف ومقدمات الدواوين، حيث كتب شكري في مجلات المقتطف والرسالة والثقافة، إضافة إلى مقدمات دواوينه النقدية، ومن المقالات ما كتبه عن الشعر العربي وحديثه عن أمراء الشعر في العصر العباسي من أمثال أبي تمام وابن الرومي وأبي نواس والبحتري وأبي العلاء ومهيار والشريف الرضي، ثم عن النسيب والرثاء والفكاهة في الشعر العربي.

وقد جمع رجب بيومي مقالات شكري في كتاب سماه دراسات في الشعر العربي، إضافة إلى مقدمات دواوينه التي تحدث فيها عن الشعر ومذاهبه وعن العاطفة وعن الخيال وعن الوحدة العضوية، كما ألف شكري كتابا سماه الثمرات عبر فيه عن مذهبه وأفكاره.

جمع شكري بين التنظير والتطبيق، فهو تارة يعرف الشعر من وجهة نظره الوجدانية، وتارة يحدثنا عن صفات الشاعر الكبير وحظه من الخيال والعاطفة، أما نقده التطبيقي نجده حين تحدث عن أعلام الشعر العربي يصور اتجاهه النقدي تمام التصوير ويقرر قواعده ويبين رسالة الشعر في الحياة.

أما العقاد فقد تميز بغزارة الإنتاج وتنوعه، فقد ربت مؤلفاته عن السبعين كتابا، هذا فضلا عن مقالاته الكثيرة في الصحف والمجلات، وقد جمع محمد خليفة التونسي جهود العقاد النقدية في كتاب « فصول من النقد عند العقاد» استمدها مما كتبه العقاد في كتاب الديوان ومن مقدمات الدواوين وخواتمها، ومن كتبه الكثيرة كمطالعات في الكتب والحياة، وساعات بين الكتب، ومراجعات في الآداب والفنون، وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي.

وتحدث العقاد في كتاب الديوان عن شوقي وشعره، واختار له مجموعة من القصائد انتخب أكثرها من باب الرثاء، وهو باب لم يرتفع فيه شوقي، ومن هذه القصائد مرثية مصطفى كامل التي امتازت بالتفكك والإحالة والتقليد والولع بالأغراض دون الجوهر في رأي العقاد.

إضافة إلى ما كتبه العقاد عن شكسبير نبي الفكر وابن الرومي ودراسته النفسية لشخصية أبي نواس.

أما المازني فكان نقده في بادئ الأمر عنيفا ثم سرعان ما أصبح هادئا ساخرا، ترك فيها كتابة الشعر وركن إلى المقالة والقصة مع بعض الدراسات الجمالية، ومن هذه الجهود كتيب «الشعر غاياته ووسائطه» سنة 1915، وفيه بين أن الشعر رومانسي المضمون، رمزي التعبير،

وأخرج المازني سنة 1915 كتاب «شعر حافظ» وازن فيه بين شعر شكري وحافظ مركزا على مواطن الضعف في شعر حافظ، كما كتب عدة مقالات سماها سرقات حافظ وكان نقده متعصبا متعسفا بشهادته هو على نفسه.

ونورد مثالا عن النقد التطبيقي للمازني تناوله لقصيدة زلزال مسينا لحافظ والتي بين أن فيها أخطاء ذوقية بل ولغوية ومنها قول حافظ:

فإذا الأرض والبحار سواء   في خلاق كلاهما غادران

فلا يصح أن تقول مثلا محمد وعلي كلاهما مصيبان بل الصواب مصيب، وغادر، واستشهد المازني بقول ابن الرومي في هجاء أبي حفص الوراق:

إن أبا حفص وعُثْنُونَه   كلاهما أصبح لي ناصبا

وهناك الكثير من ملاحظات المازني التي تؤكد أنه ناقد فطن سليم الذوق واسع المعرفة بالشعر جيده ورديئه، ولا يمكن اعتبار نقده نقدا متحاملا أو متعسفا في مجمله.

ومن نماذج نقد المازني لنثر المنفلوطي رصده للتكرار الذي طبع أسلوبه في مجموعته القصصية « العبرات» فكل لفظ يمكن الاستغناء عنه قاتل لكاتبه في رأيه، والقصص هنا محشوة بالمفاعيل المطلقة والنعوت والأحوال، وهذا دليل على ضعف وفقر الذهن، ومثال ذلك قول المنفلوطي في قصة اليتيم : «... وخرجت منه شريدا طريدا حائرا ملتاعا...»

الإجادة في رأي المازني ليست في التكلف في التفصيل في المحسوسات بل في تصوير حركات الحياة والعاطفة المعقدة ورسم الانفعالات والخوالج النفسية والذهنية.

مفهوم الشعر عند جماعة الديوان

يقول العقاد: « من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود كمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود»، ومن بين الجوانب التي ركز عليها أعضاء الجماعة في تعريفهم للشعر أنه تعبير يرتبط بالعالم الداخلي للشاعر، وهذا المفهوم يجسده ديوان ضوء الفجر لشكري سنة 1909 الذي شعاره :

ألا يا طائر الفردو س   إن الشعر وجدان

ولقد ربط أعضاء الجماعة بين الشعر والعواطف، فالكاتب عند العقاد هو من تتجلي روحه واضحة في كتاباته، ويتميز معها نهجه ومذهبه وتفكيره الخاص، والشاعر ليس من يزن التفاعيل أو يصوغ الكلام، بل هو من يَشعُر ويُشعِر.

والأدب الحق عند المازني هو الذي يصور الوجدان والأحاسيس في صدق، والشعر تعبير وليس محاكاة.

حاولت جماعة الديوان اكتشاف الشخصية الفردية في النص التي غابت في الشعر الإحيائي المتشبث بالعقل، فأكدت على الذاتية والوجدان، وإشراك القارئ في هذه العواطف، يقول شكري: « الشأعر الكبير لا يكتفي بإفهام الناس بل هو الذي يحاول أن يسكرهم ويجنهم بالرغم منهم، فيخلط شعوره بشعورهم وعواطفه بعواطفهم» وبهذا المفهوم الشعر تعبير عن الذات وهو بالتالي تعبير عن الإنسان الذي هو جزء من مجتمعه، فلا يمكن أن يكون الشاعر بمعزل عن أسرته وأقرانه وأمته، بينما أكد شكري أن الوجدان المقصود هو الوجدان العام الإنساني وليس وجدان الشاعر الخاص .

كما أكدت الجماعة على وحدة القصيدة، واحتفوا بالأخيلة، والصور الجديدة، فذهب شكري إلى التأمل والاستبطان الذاتي، وعبر المازني عن روح رومنسي شاك متبرم، ونظم العقاد في الجانب الوجداني والفلسفي.

يقاس الشعر عند جماعة الديوان بمقاييس ثلاثة :

- للشعر قيمة إنسانية يحتفظ بها حتى لو ترجم.
- الشعر تعبير عن نفس صاحبه.
- القصيدة ذات بنية حية وليست أجزاء متناثرة.

المعركة النقدية بين أعضاء الجماعة

هي أضخم معركة أدبية نقدية بدأت سنة 1917 واستمرت 17 عاما، ومن نتائجها اعتزال شكري الساحة الأدبية واكتفى بعمله في التعليم، وانصرف العقاد والمازني للصحافة والسياسة، وتعود أسباب المعركة إلى كلام شكري في مقدمة ديوانه الخامس عن سرقة المازني من شعراء الغرب، ومنها قصيدة المازني « الشاعر المحتضر» التي أخذها من قصيدة «أودني» للشاعر الإنجليزي شيلي، ومنها قصيدة « قبر الشعر» التي نقلها عن الشاعر الألماني هيني، وقصيدة « فتى في سباق الموت» وهي للشاعر الإنجليزي توماس هود، وقصيدة « الوردة الرسول» للشاعر الإنجليزي ولز وغيرها، إضافة لنقله مقال « تناسخ الأرواح» من مجلة السبكتانور لـ إدسون الإنجليزي ومقالات أخرى لفيكتور هيجو.

يقول شكري في هذا السياق: «وقد نبهت المازني إلى هذه القصائد فاعترف أنها ليست له ولكنه قال: إنه نظمها وهو يظن أنها له. ذلك لأنه حفظ المعاني ونسي أنها لغيره، فبينت له أن الأبيات والمعاني متسلسلة والترجمة دقيقة جدا، فأصر على فكرته السيكولوجية وقال: إن ذلك جائز في علم السيكولوجيا, ولكنه وعد أن يتجنب مثال هذه المآخذ في المستقبل, ولم يف، إذ إنه بعد ذلك أنشدني قصيدة إكليل الشوك والغزال الأعمى وهي أيضا من هذه المآخذ, وبينما كنت أقلب مجلة البيان وجدت مقالا طويلا – عنوانه تناسخ الأرواح– منسوبا إلى المازني فإذا هو مأخوذ من أوله إلى آخره من مقالات أديسون الكاتب الإنجليزي الشهير في مجلة السبكتاتور.

وجمع مصطفى أفندي كتابا ذكر فيه مآخذ كثيرة زعم أن المازني أخذها من كتاب واحد فقط وهو كتاب "الذخيرة الذهبية" في الشعر الإنجليزي. وأخذ عبد الحميد أفندي العبادي ديوان المازني وكتاب الزخيرة الذهبية الإنجليزي وجعل يقارن بين أبيات المازني وأبيات الذخيرة في إحدى الجلسات الأدبية حتى أدهش الحاضرين.

ولم يرد المازني على شكري إلا بعد أربع سنوات وكان رده عنيفا في مقال صنم الألاعيب 1 في الجزء الأول من كتاب الديوان، حيث وصف شكري بالصنم الذي ألقت به يد القدر العابثة في ركن خرب، وفي مقال صنم الألاعيب 2 في الجزء الثاني من كتاب الديوان وصف المازني زميله بالمريض والمجنون، ونقل سطورا من كتاب الاعترافات لشكري يستدل بها على أن شكري كان يتهم نفسه بالجنون سنة 1916. وبدءا من 1930 بدأ المازني يغازل شكري بمقالات ومحاضرات تحتفي بتجربته الشعرية إلى أن اعتذر له في مقال نشره في مجلة البلاغ سنة 1934 تحت عنوان « إنصافٌ لنفسي ولشكري».

وقد أثر صمت العقاد طوال هذه السنين على تماسك الجماعة، فكان الخلاف والشقاق يزيد يوما بعد يوم، وقد فُهم من صمته أنه كان في صف المازني الذي ألف معه جزئي كتاب الديوان.

مراجع المحاضرة

* العقاد و المازني، كتاب الديوان في الأدب والنقد,
* محمد مندور ، في الأدب والنقد .
* محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون.
* سعاد محمد جعفر، التجديد في الشعر والنقد عند جماعة الديوان.
* محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه.
* أحمد أنور سيد أحمد الجندي ، المعارك الأدبية.
* بتول قاسم ناصر، محاضرات في النقد الأدبي.
* عبد الرحمان شكري، دراسات في الشعر العربي.